

التبيان في تفسير القرآن

(110) " ثم استوى على العرش " (1) معناه ثم استوى تدبيره بتقدير القادر عليه. وقيل إن الاستوى بمعنى الاستيلاء، كما قال الشاعر: ثم استوى بشر على العراق * من غير سيف ودم مہراق (2) فاما الاستواء عن اعوجاج فمن صفات الاجسام لا يجوز ذلك على الله تعالى. وقوله " ثم استوى إلى السماء " يفيد انه خلق السماء بعد خلق الارض وخلق الاقوات فيها، ولا ينافي ذلك قوله " أنتم اشد خلقا أم السماء بناها رفع سمكها فسواها " إلى قوله (والارض بعد ذلك دحاها) (3) لان ذلك يفيد أن الارض كانت مخلوقة غير مدحوة، فلما خلق الله السماء دحا بعد ذلك الارض فبسطها، وإنما جعل الله السموات أولا دحانا ثم سبع سموات طباقا ثم زينها بالمصابيح، لما في ذلك من الدلالة على أن صانعها وخالقها ومدبرها ليس كمثله شيء من الموجودات غني عن كل شيء سواه، وإن كل ما سواه يحتاج إليه من حيث انه قادر لنفسه لا يعجزه شيء، عالم لنفسه لا يخفى عليه شيء. و (الدخان) جسم لطيف مظلم، فالله تعالى خلق السموات أولا دحانا ثم نقلها إلى حال السماء من الكثافة والالتئام لما في ذلك من الاعتبار واللفظ لخلقه. وقوله (فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين) قال ابن عباس أتت السماء بما فيها من الشمس والقمر والنجوم وأتت الارض بما فيها من الانها والاشجار والثمار، وليس هناك أمر بالقول على الحقيقة ولا إطاعة، ولا

_____ (1) سورة 7 الاعراف آية 53 وسورة 10 يونس آية 3 وسورة 13 الرعد

آية 2 وسورة 25 الفرقان آية 59 وسورة 32 الم السجدة آية 4 وسورة 57 الحديد آية 4 (2)

مر في 1 / 125 و 2 / 396 و 4 / 452 و 5 / 386 (3) سورة 79 النازعات آية 30 (*)